أهل السنة في العراق 'أفاق المستقبل' (2)

18-8-2004

بدا السنة وكأنهم الخاسر الأكبر من زوال النظام العراقي، وقد برزت مؤشرات عديدة واقعية على محاولة الإدارة الأمريكية تجاهلهم وتجاوزهم في ترتيب التحالفات الجديدة. وقد خسر كثير من السنة مع زوال الدولة وظائفهم ومواردهم الاقتصادية، والسياسية. خاصة مع حل الجيش العراقي واستثناء أعضاء حزب البعث من التعيينات الجديدة.

*** نشطت المقاومة المسلحة في مدن السنية خاصة في بغداد**

بقلم محمد سليمان

-2-

المشهد السياسي العراقي بعد الاحتلال

لم يكد النظام العراقي يتهاوى والاحتلال يضع أقدامه في الأراضي العراقية، حتى عجت الساحة السياسية بالقوى المختلفة والأحزاب المتعددة، وظهرت حالة معقدة ومركبة من المصالح المتشابكة والمختلفة تعكس إلى درجة كبيرة طبيعة التركيبة السكانية العراقية. وقد ظهرت كثيرا من الإشارات المكبوتة في الداخل وأخرج المجتمع العراقي ما في داخله من تناقضات وصراعات واتجاهات إلى العلن.

تميز المشهد السياسي العراقي منذ الاحتلال بظهور دور الدين والتنظيمات الاجتماعية الدينية بشكل مؤثر وكبير في المدن، سواء عند السنة العرب أو عند الشيعة، وظهرت العديد من القوى والأحزاب السياسية التي تمثل النسق الاجتماعي والثقافي والسياسي للفئات المختلفة. إلا أن أبرز المعالم في المشهد العراقي هو ظهور المقاومة المسلحة القوية، والتي لم تكن أبدا في حسابات الأمريكان، وأثرت كثيرا على قواعد الصراع ودفعت بالأمريكان إلى إعادة النظر في استراتيجياتهم وتعديلها عدة مرات، وأوصلت الأمور إلى حد المأزق الحقيقي لقوات الاحتلال، كما أنها قللت من أهمية أدوات الاحتلال

- كمجلس الحكم الانتقالي والحكومة المؤقتة- فيما بعد ووزنها السياسي. وظهر أيضا دور مؤثر وكبير للمرجعيات الشيعية وخاصة علي السيستياني.

أما بخصوص مكونات القوى السياسية، فيمكن إبراز الملحوظات التالية الرئيسة:

أولا / الشيعة:

* ظهر الاختلاف مبكرا بين القوى الشيعية حول العديد من القضايا الرئيسة أبرزها: التمثيل السياسي، المرجعية الدينية، العلاقة مع إيران، العلاقة مع الاحتلال، الموقف من الدولة الإسلامية.

* ظهرت علامات واضحة لمحاولات شيعية لتعويض المرحلة السابقة من التهميش والاضطهاد السياسي، وذلك من خلال محاولة تحويل العراق إلى دولة شيعية، واستعادة الدور الكبير لشيعة العراق، ودور النجف والحوزة العلمية في مقابل [أو بالتعاون] مع قم في طهران.

* برز بوضوح تأثير التيارات والمرجعيات الدينية على المجتمع الشيعي وعلى القوى السياسية التي تمثله، وقد تمثل الوجود السياسي الشيعي من خلال مجلس الأعلى للثورة الإسلامية، والمعروف بعلاقاته القوية مع طهران، وحزب الدعوة الإسلامية (والذي ظهر مشتتا ومنقسما بين

عدة تيارات)، وقد شكل هذان الحزبان العمود الفقري للتمثيل السياسي الشيعي، وشارك المجلس الأعلى في مجلس الحكم الانتقالي وأخذ موقفا مهادنا للاحتلال الأمريكي، طمعا في تحصيل مصالح سياسية كبر . وهناك تنظيمات سياسية أقل تأثيرا كحركة الوفاق الإسلامي، والحركة الإسلامية (وتشكل امتدادا طبيعيا لتيار الإمام الخالصي، أحد أبرز قادة ثورة العشرين في العراق، وتدعو إلى التقارب مع السنة).

في حين انقسمت المرجعيات الدينية وظهر حضور قوي للسيستياني الذي تجنب الدخول في الصراع السياسي، وأظهر مهادنة للاحتلال دون القبول به، ودعا إلى تدخل الأمم المتحدة، وإلى ديمقراطية تقوم على حكم الأغلبية (لترجيح دور الشيعة في صوغ المجال السياسي العراقي القادم)، في المقابل ظهر مقتدى الصادر (الذي لم يصل بعد إلى مرتبة المرجعية)، واضطربت مواقفه -في البداية- من الاحتلال، إلى أن دخل هو ومؤيدوه وجيشه (جيش المهدي) في صراع مسلح مع قوات الاحتلال لم يحسم بعد.

ثانيا / السنة:

* بدا السنة وكأنهم الخاسر الأكبر من زوال النظام العراقي، وقد برزت مؤشرات متعددة واقعية على محاولة الإدارة الأمريكية تجاهلهم وتجاوزهم في ترتيب التحالفات الجديدة. وقد خسر كثير من السنة مع زوال الدولة وظائفهم ومواردهم الاقتصادية، والسياسية. خاصة مع حل الجيش العراقي واستثناء أعضاء حزب البعث من التعيينات الجديدة.

* نشطت المقاومة المسلحة في مدن السنية خاصة في بغداد والرمادي والفلوجة منذ بداية الاحتلال، وقد تعددت وتنوعت الفئات المكونة للمقاومة المسلحة من الفئات والعناصر الإسلامية العراقية، إلى افراد الجيش العراقي المنحل، الاستخبارات العراقية السابقة، أبناء العشائر، المتطوعين والمجاهدين العرب القادمين من الخارج، تنظيمات حزب البعث العراقي.

* ظهرت العديد من التنظيمات السياسية التي تمثل السنة، وقد برزت بشكل كبير التنظيمات الإسلامية، ومنها: الحزب الإسلامي (جماعة الإخوان المسلمين) والذي شارك في مجلس الحكم الانتقالي، وظهرت هيئة علماء العراق والتي اتخذت موقف مقاومة الاحتلال سلميا، وظهرت التنظيمات المسلحة والتي اتخذت موقف الجهاد ضد الاحتلال الأمريكي.

ثالثا / الأكراد:

* ظهر هناك توافق كردي على تقرير مصلحة الأكراد في والتأكيد على حقوقهم، ولما كانت المعادلة الإقليمية اليوم لا تسمح بقيام مشروع الاستقلال، فأصر الأكراد من خلال حضورهم في مجلس الحكم الانتقالي على مبدأ الفدرالية بينهم وبين العرب، وعلى حماية حقوقهم كأقلية في شمال العراق، وهو مركز الثروات النفطية والطبيعية العراقية.

* امتازت علاقة الأكراد بالأمريكان بالتوافق والإيجابية، وقد ساندوا القوات الأمريكية بشكل كبير في التخلص من النظام العراقي السابق.

* يشكل التيار الإسلامي تيارا ثالثا ناشطا في الوسط الاجتماعي الكردي، ويأتي في المرتبة الثانية بعد كل من الحزب الديمقراطي والاتحاد الوطني الكردستاني، وينقسم التيار الإسلامي إلى اتجاهين رئيسين : الحركة الإسلامية الكردستانية ، والتي انقسمت بدورها الى قسمين الجماعة الإسلامية، وجند الإسلام، الذين أصبحوا بعد انضمام المجاهدين العرب اليهم أنصار الإسلام. أما الاتجاه الثاني فهو الاتحاد الإسلامي والذي يمثل جماعة الأخوان المسلمين الكردية، وقد استطاع الحصول على تمثيل داخل مجلس الحكم الانتقالي، وتبدو مواقفه السياسية متناغمة مع سعي القوى الكردية لتحصيل الحقوق السياسية.

بالنسبة لباقي فئات المجتمع العراقي فهناك تواجد لأحزاب سياسية تمثل الأقلية التركمانية كالحزب الديمقراطي الرتكماني وحزب الشعب التركماني، كما يوجد العديد من الأحزاب

السياسية العراقية الموافقة والمعارضة للاحتلال، ومن هذه الأحزاب: الحزب الشيوعي، الحزب الاشتراكي، حركة الوفاق الوطني، الحزب الناصري .. الخ.